ISSN 2335-1160 EISSN 2602-5175

التونسي زمن الكورونا

دراسة في الحجر الصحي وتداعياته الاجتماعية والنفسية

الباحث يوسف بن صالح

كلية الآداب والعلوم الإنسانية بصفاقس

تاريخ الإرسال :2021-11-13 تاريخ القبول : 2021-12-19 تاريخ النشر :25-12-2021

ملخص: يتعلق الأمر في هذه الدراسة برصد الحالة النفسية والاجتماعية التي أصبح عليها المواطن التونسي من جرّاء تداعيات الحجر الصحي الناتج عن أزمة كورونا، في كل ما يتعلق بالسلوكيات ومختلف الآليات وأشكال العلاج والتعويض الفردية والجماعية وأشكال التأقلم التي اعتمدها الفاعل الاجتماعي للحدّ من مخاطر الضغط النفسي الناتج عن الحجر. بحيث حدثت ما يشبه الرجة النفسية للتونسي بظروف عيش جديدة قائمة على التباعد عوضا عن التجمهر الذي أصبح يهدد الكيان الإنساني زادت عديد العوامل في تغذية النفسية الاجتماعية المتأزمة وهي كل من المشاهد الإعلامية وصيحات الفزع التي أحدثتها منظمة الصحة العالمية على المستوى العالمي، وعدم جاهزية الدولة التونسية خاصة على المستوى الصحي لمثل هذه الأوبئة نظرا للبنية التحية الصحية المتواضعة من ناحية إلى جانب الأزمة السياسية التي تمر بها البلاد وعمليات الاحتكار في المواد الأساسية وضبابية المصير كلها عوامل متزامنة لها من الآثار الصحية والنفسية على صحة المواطن التونسي. إضافة إلى ذلك ننظر في ما إن كانت النفسية للمواطن من جراء الموجة الثانية خاصة بعد الانفراج في الموجة الأولى بأخف الأضرار.

الكلمات المفاتيح: الحجر الصحي–التباعد–الضبط الاجتماعي – الآثار النفسية

Abstract: Summary; This study is concerned with monitoring the psychological and social situation that the Tunisian citizen has become as a result of the repercussions of the quarantine resulting from the Corona crisis, in everything related to behaviors, various mechanisms, forms of individual and group treatment and compensation, and forms of adaptation adopted by the social actor to reduce the risks of psychological stress resulting from the stone . So that something like a psychological shake in Tunisia occurred with new living conditions based on distance instead of the gathering that threatens the human entity. Many factors have increased in feeding the crisis social psychology, which are all of the media scenes and the screams of panic caused by the World Health Organization at the global level. The lack of readiness of the Tunisian state, especially at the health level, for such epidemics, given the modest health infrastructure on the one hand, in addition to the political crisis that the country is going through, the monopoly operations in basic materials and the uncertainty of fate are all simultaneous factors that have health and psychological effects on the health of the Tunisian citizen. In addition, we look at whether the citizen's psyche was caused by the second wave, especially after the breakthrough in the first wave, with the slightest damage.

Keywords: quarantine - distancing - social control- psychological effects.

Keywords: Types of educational texts _ the text_ the text educational_ the ends.

مقدمة

هل كانت تتوقع بشرية القارات الخمس في يوم من الأيام أنها ستوصد أبوابها وتصبح ترتع في محاجرها خوفا من موت بات يهددها في كل وقت وحين، من كائن خفي، لم يخضع بعد لسلطان العلم، حيّر العلماء الذين كنا نعتقدهم "رهبان العصر" على حدّ عبارة فيورباخ؟ حيث لم تجد البشرية من حلّ للنجاة سوى الترشيد وأخذ الاحتياطات اللازمة حتى لا تقع في شرك الوباء. وربما للمرة الأولى منذ تسيد هذا العقل عرش التنوير في أوروبا سيباغت الإنسان خوف لا قبل له به على المصير[1]، فليس من المألوف أن يرى الناس عشرات صناديق الموتى في الشاحنات العسكرية تشق قلب المدن الأوروبية باتجاه المقابر، ومن دون طقوس جنائزية. والحقيقة تقال وان المشاهد والأنباء عما حدث في العالم بأسره كان بمثابة نقطة تاريخية فجئية ورجّة بمختلف المقاييس الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية والدينية والفنية والنفسية. فقد جاء كورونا اليوم ليهز كثيرا من المسلمات المعرفية والأساطير الفكرية القديمة، فأيقظ الإنسانية من غفوتها العنيفة الضاربة في الاستسلام للطمأنينة الحضارية الجارفة[2].

تحولت مدارك التهديد الناتجة عن كورونا إلى جائحة نفسية وتدفقات أو تخلفات مخيالية حكمت العالم تقريبا حالة من الهلع لدى الاجتماع البشري إلى قوى مادية شديدة التأثير[3]. فالوضعية التي أصبح عليها سكان العالم تبدو درامية معولمة وموحدة. وبما أنها حالة حدث فجئي فمن الطبيعي أن تحدث نوع من التأثيرات النفسية والاجتماعية والتغيرات في السلوك الأخلاقي لدى الفاعلين الاجتماعيين وبالتحديد في زمن جائحة كورونا التي تهدد بقاء الإنسان.

وفي هذه المحاولة بالتحديد سوف نهتم بما خلفته هذه المشاهد والوضعية الوبائية من أثار نفسية وتقلبات في سلوكيات الجمهور التونسي وكيفية تعامله مع الوباء وكيف أجبرت كل الفئات على سلك سلوكيات صحية وحفظ صحة وبيئية وقائية جديدة، من نوع التباعد الاجتماعي، وترك المسافات للأمان، وغسل اليدين، والتعقيم والتكميم. هذا بالإضافة إلى الراحة المهنية وتوقف مختلف الأنشطة الحيوية. فماهي أثار جائحة كورونا على نفسية الجمهور التونسي خاصة في فترة الحجر الصحي؟ وماهي التدابير والوسائل التي اعتمدها التونسي للحدّ من مخاطر الضغط المسّلط عليه؟

أهداف الدراسة

نهدف من خلال هذه المحاولة لفهم مواقف وسلوكيات الجمهور التونسي زمن الكورونا بما في ذلك زمن الحجر الصحي والانعكاسات النفسية لهذه الجائحة.

- تشخيص الآليات الفردية والجماعية للحدّ من الضغط النفسي الناتج عن الحجر.

-تقييم درجة تأقلم التونسي مع ظروف الجائحة و الحجر والأشكال العلاجية والتعويضية للحدّ من حالة الضغط النفسي.

-تقييم وعي التونسي بالمخاطر الصحية (الكوفيد 19).

-المساهمة في دعم إستراتيجيات مجابهة فيروس الكورونا وفي جهود الإحاطة النفسية.

الإطار النظري والمعرفي

[1]-محمود، حيدر، الجائحة تسترجع الميتافيزيقا،مجلة الاستغراب، العدد 20، صيف،2020 المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية، ص8

[2]- على اسعد وطفة، الهوية الإنسانية في زمن كورونا، نوفمبر، 2020، ص،1.

[3]- عقيل سعيد محفوض ،حادث كورونا وما بعده العالم على نشأة أخرى ،مجلة الاستغراب، مرجع سابق، ص139

يستوجب البحث التعريج على جملة من النماذج النظرية والأطر المعرفية ذات العلاقة بالموضوع، فالمسألة متعلقة بالمجال النفسي الاجتماعي الذي يهتم برصد السلوكيات وعمليات التكيف والمواقف إزاء جائحة وبائية معولمة تعتبر الأولى من نوعها في تاريخ البشرية. فعلى هذا الأساس تكون جملة الأطر النظرية تجمع بين براديغم علم الاجتماع ونظريات من علم النفس الاجتماعي.

هناك العديد من الأطر النظرية التي يمكن بناء عليها تحليل السلوكيات النفسية التي عرفها المواطن التونسي عند جائحة كورونا في الموجة الأولى والثانية، بحيث يمكن الالتجاء لصاحب نظرية التنافر المعرفي "ليون فسنتجر"الذي يرى استناداً إلى فكرة * التوازن النفسي* أن الإنسان عندما يقع تحت تأثير أفكار متنافرة، فإنه يتولد داخله نوع من التوتر والقلق يتسبب في نوع من الخلل والإرباك في منظومة معارف الإنسان مما يؤثر على اتجاه الفرد وسلوكه، ويحدث نوع من التغييرات في السلوك من اجل تفادي التنافر والعودة إلى حالة التوازن والتآلف المعرفي. وقد يلجأ الشخص إلى التقليل من أهمية الأفكار المتضاربة في نظر نفسه، لإزالة حالة التوتر أو التقليل منها.

ووفقًا لنظرية المقارنة الاجتماعية "لفستنغر"، يقوم الأشخاص بتقييم ذاتي عبر مقارنة أنفسهم بالآخرين، في إطار متقارب جدًا، مثل: زملاء العمل، وأفراد الأسرة، وما إلى ذلك. ويسعى الأفراد إلى تجاوز النشاز المعرفي بالبحث عن وسيلة تجعل المعارف المتنافرة أكثر توافقا، إما عن طريق جمع أكبر للآراء لمزيد التحقق أو التقليص من بعض المعلومات المولدة للنشاز. كما يحرص الأفراد في تفاعلهم إلى تجنب كل ما يثير النشاز المعرفي.

أما المقاربة الثانية والتي لا تقل أهمية أيضا وهي علم اجتماع المخاطر، حيث يهتم هذا الفرع بتفسير ظاهرة المخاطرة وأسبابها ونتائجها على مختلف أفراد المجتمع. ويركز اهتماماته خاصة على المخاطر الناجمة عن فكرة الحداثة وما بعدها وتداعياتها السوسيونفسية على المجتمع. ويعود فضل التأسيس لهذا العلم للعالم الاجتماع الألماني "اولريش بيك"مع منتصف القرن العشرين، في صياغته لمجتمع المخاطرة حيث بيّن أيضا أن المخاطرة على الرغم من وجودها منذ وجود الإنسان على البسيطة إلا أن الاختلاف يتمثل في درجة الخطورة والنوع والتحكم بحسب "اولريش بيك". كما أن كبرى المخاطر التي يركز عليها هذا العلم في دراسته للمخاطر هي فكرة البيئة وما لحقها من أضرار ودمار (الإنسان والحيوان والأرض والهواء والتراب) بالإضافة إلى بقية مختلف الحقول التي تواجه من حين لأخر المخاطر المتتالية مثل الأمن والاقتصاد والأمن الغذائي والثقافة.

وحسب "أولريش بيك" فإن "مجتمع المخاطرة " هو مجتمع ساخط على النتائج السلبية للحداثة، يسعى لإيجاد حلول لإدارة المخاطر(Risk management) . وهو ما أوضحه في كتابه «مجتمع المخاطرة 1986، أو" عقد المخاطرة " بالنظر في مدى القدرة على التحكم في المضار الناجمة عن الصناعة والقدرة على تعويضها. وفي كتابه الثاني (مجتمع المخاطر العالمي: بحثا عن الأمان المفقود 2006، قد فرّق فيه بين مجتمع المخاطرة ومجتمع المخاطر العالمي، وهنا يبدو واضحا في الحديث عن "مجتمع عالمي " تنتشر فيه المخاطر والأخطار في مختلف الأقطار أو

كما وصفها (المخاطر الطيارة، أي التي تطير من مكان إلى آخر دون القدرة على مسكها والحدّ من مخاطرها)كان للعولمة دورا بالغا في عولمة المخاطر والأخطار، ومزيد توسيع دائرة القلق وعدم الارتياح المفتعل.

هذا المفهوم المخاطر المعولمة لها علاقة بمفهوم "الخوف السائل" وهو كتاب لعالم الاجتماع البولندي "سيجموند بومان" وهو خوف ناجم عن الحداثة السائلة بعدما كانت حداثة صلبة وهنا يبين كيف أن المخاطر بفعل العولمة سالت على مختلف أنحاء العالم بفعل كسر حدود الدولة القومية مثل سيلان الإرهاب والأضرار البيئية وغيرهما سيترتب عنه لا محالة سيلان الخوف.

ومن ضمن النظريات التي لها عميق الإسهام في تحليل السلوك يمكن استحضار نظرية المجال لرائدها "كورت لوين" وهي نظرية سيكولوجية تركز على أنماط التفاعل بين الفرد والمجال الذي ينتمي إليه أو البيئة. إذ اعتبر "لوين"أن السلوك الفردي يمثل جملة من التفاعلات والتداخلات المختلفة بين الفرد والمحيط الاجتماعي فالتجربة الاجتماعية لا تتحقق إلا بالتحاور والتفاعل بين الأشخاص بقطع النظر عن شكل التفاعل سالب أو موجب، تفاهم أم صراع. ونحن في هذه المحاولة نرصد أثار الخوف في طريقة إدراك الإنسان وكيفية بناء مشهده النفساني على ضوء جائحة كورونا.

المفاهيم

- **التباعد**

ان جائحة كورونا في الوقت الذي اقامت الحدّ على العولمة الليبيرالية وزلزلت اركانها، اطلقت عولمة من نوع جديد، هي عولمة التباعد بعد تواصل والتشظي بعد وحدة، والخوف من الفقر والرفاه الموهوم[1]. ومصطلح التباعد الاجتماعي في الحقيقة ليس حديث العهد فقد أوضح "ماكينا" 2007 كيف ساعد التباعد الاجتماعي مدنا على النجاة من جائحة الأنفلونزا الاسبانية التي ضربت في 1918. مما أدى إلى إبطاء انتشار الوباء.

وفي 1924 ذهب "روبار أزرا بارك « Robert Ezra Park » مدرسة شيكاغو أن كلمة التباعد" تثير لدى المتلقي معان تتصل بدرجات التفهم والحميمية. وفي محاولة منه لتعريف التباعد الاجتماعي كتب بارك " كثيرا ما نقول عن الشخص أ قريب جدا من ب وج بعيد ومحتفظ، لكن د من ناحية أخرى هو شخص منفتح الذهن، متعاطف، متفهم، وعموما يسهل التعاطي معه. جميع هذه التعبيرات تصف وتقيس إلى حدّ ما مدى التباعد

[1]-محمود، حيدر، الجائحة تسترجع الميتافيزيقا،مجلة الاستغراب، العدد 20، صيف،2020 المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية، ص8 مجلة الاستغراب ، مرجع سابق ص 13.

الاجتماعي. من الجلي هنا أن بارك يؤكد على أن المسافة الجسدية التي يحافظ عليها الشخص بينه وبين الآخرين تعكس سماته الفردية أو طبيعة علاقته بالآخرين[1].

- **الضبط الاجتماعي**

ذهب ابن خلدون غلى بيان أن الضبط الاجتماعي من الضروريات لأزمة المجتمع وهو ذو أهمية اجتماعية، فهو يرى أن الضبط لازم للحياة الاجتماعية وانه في نفس الوقت ناجم عن خاصة طبيعية في الإنسان وان فائدة المحافظة على المصلحة العامة للأفراد في المجتمع وعلى مصلحة الحاكم في استقامة حكمه[2].

يؤثر الضبط الاجتماعي على الفعل الاجتماعي حيث أكد "بارسونز" أن الضبط الاجتماعي وسيلة فعالة في تحقيق التوازن داخل النسق وانه ميكانيزم لقمع السلوك. كما أكد بارسونز على أهمية التنشئة الاجتماعية والتي في سياقها يتعلم الفرد القيم التي ترسم له ملامح السلوك ودور الضبط الاجتماعي في ذلك[3] .

كما عرّف "جوزيف روسك " الضبط الاجتماعي بأنه لفظ عام يسير إلى تلك العمليات التي يتم بمقتضاها تعليم الأفراد أساليب معينة واستمالتهم إليها أو إكراههم على الانصياع لها سواء كانت هذه العمليات تتم وفق حالة مرسومة وواعية أم تتم بشكل تلقائي. وعرفه "بيتر برجر" بأنه لفظ يشير إلى مختلف الأساليب التي يستخدمها المجتمع لإجبار أفراده المتمردين على العودة إلى الانصياع لمعايير المجتمع، حيث يرى أنه لا يمكن لأي مجتمع أن يستمر في البقاء دون ضبط اجتماعي[4] .

- **الحجر الصحي**

تضمن نشر اللوائح الصحية الدولية)2005(،المعتمدة بجنيف بتاريخ 23مايو سنة 2005، إذ تم النص على تعريف الحجر الصحي في المادة الثانية من اللوائح الصحية الدولية ، بأنه "تعني عبارة الحجر الصحي تقييد أنشطة أشخاص ليسوا مرضى يشتبه في إصابتهم أو أمتعة أو حاويات أو وسائل نقل أو بضائع يشتبه في

---

[1]- أسيا كسور، دور سلطة الضبط الاجتماعي على فعالية التباعد الاجتماعي في ظل جائحة كوفيد19، مجلة التنمية وإدارة الموارد البشرية، بحوث ودراسات، المجلد8، العدد01 العدد 2020، ص109، مأخوذ من موقع الكتروني محمد حسام النحاس من التباعد الاجتماعي أم التواصل المتباعد. https://www.qu.edu.qa/ar/newsroom/Qatar-University 2020-04-23

[2]- أسيا كسور، دور سلطة الضبط الاجتماعي على فعالية التباعد الاجتماعي في ظل جائحة كوفيد19، مجلة التنمية وإدارة الموارد البشرية، بحوث ودراسات، المجلد8، العدد01 العدد 2020، ص،111

[3]-المرجع نفسه،ص،110

[4]-المرجع نفسه،ص،111

إصابتها، و/أو فصل هؤلاء الأشخاص عن غيرهم و/أو فصل الأمتعة أو الحاويات أو وسائل النقل أو البضائع عن غيرها بطريقة تؤدي إلى الحيلولة دون إمكانية انتشار العدوى أو التلوث

منهجية البحث

نظرا للضرورة التي فرضتها جائحة الكورونا من وجوب التباعد الاجتماعي والجسدي قمنا بتوزيع استبيان عن بعد عبر الانترنت) من خلال محرك قوقل فورم(Google Forms) حول الآثار النفسية الاجتماعية للكورونا زمن الحجر. وكانت عينة البحث تعدّ 233 يتوزعون حسب المتغيرات السوسيوديمغرافية الكلاسيكية: النوع/الجنس والسن والمستوى التعليمي والانتماء الجغرافي والحالة المدنية والمهنية)مع العلم وان الإطار المكاني للبحث كان قد شمل مختلف ولايات الجمهورية منذ أواخر شهر مارس أي عند بداية انتشار الوباء إلى أواخر أفريل 2020 فترة الحجر الصحي.

تقنيات تحليل المعطيات.

-اعتماد المقاربة الوصفية من خلال التكرارات (جداول ورسوم وبيانية)

استفدنا أيضا ببحثين حول مواقف وتمثلات التونسي لجائحة كورونا

I. تداعيات الحجر الصحي على الحالة النفسية عند التونسيين.

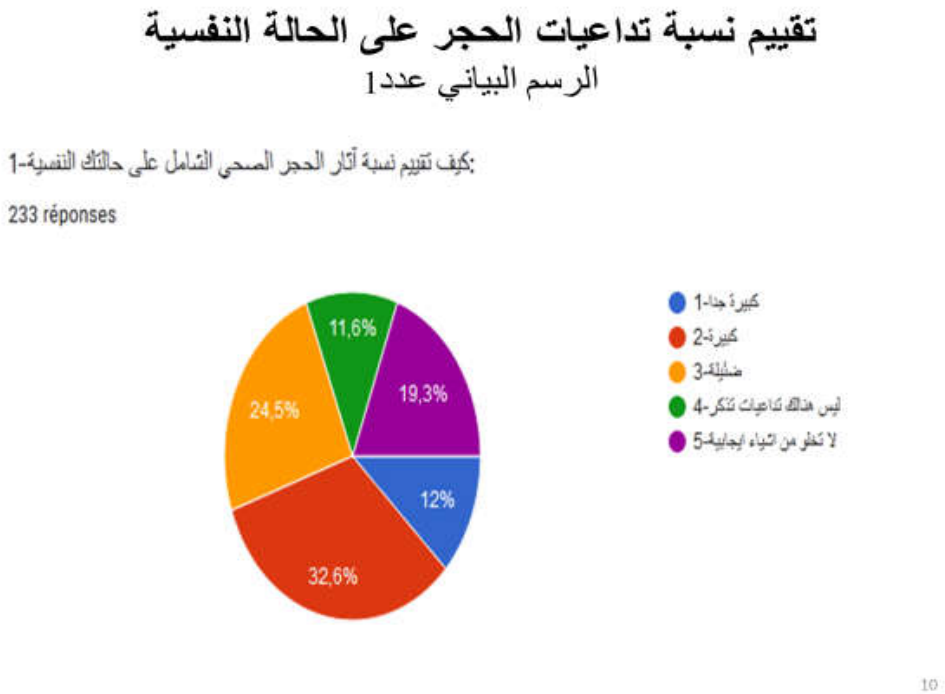

عرف ونسلو(Winslow1920)الصحة العامة على أنها: »علم وفن الوقاية من المرض، وإطالة العمر، وترقية الصحة والكفاية، وذلك بمجهودات منظمة للمجتمع من أجل صحة البيئة ومكافحة الأمراض المعدية، وتعليم

الفرد الصحة الشخصية وتنظيم خدمات الطب والتمريض للعمل على التشخيص المبكر والعلاج الوقائي للأمراض، وتطوير الحياة الاجتماعية والمعيشية، ليتمكن كل مواطن من الحصول على حقه المشروع في الصحة والحياة[1].

يتعلق الرسم البياني بحجم تداعيات الحجر الصحي على الحالة النفسية عند التونسي، فقد توجهنا بالسؤال لفئة من التونسيين ليدلوا برأيهم في فترة الموجة الأولى من وباء كورونا. ولعل السؤال فيه مقصد ومعنى،بمعنى النظر في الظرف الجديد الذي وجد التونسي نفسه مضطرا فيه للحدّ من التفاعل الاجتماعي المباشر والحدّ من اللقاءات والتجمعات. خاصة مع جيل ليس له دراية بتاريخ الأوبئة وليست له تجربة سابقة مع الوباء. فالمقصد هو رصد ردات فعل وحجم التأثير، والمواقف النفسية الاجتماعية تجاه عملية الحجر، وكيفية تقبّل المواطن التونسي للحصر المفروض عليه، والحال أن الوضعية متعلقة بالمجال الصحي وبمسألة حياة أو موت. ولان فيروس كورونا حدثا بالمعنى الذي يورده "جاك دريدا" ويحيل ذلك إلى "أمر ما" يطرأ بشكل مباغت ولا متوقع وغير مسبوق او فريد في بيئة ما، او في مكان وزمان محددين ويكون له وقع في الذاكرة وروع في الخاطرة[2].

نجد أعلى نسبة بالرسم هي نسبة الذين أثر فيهم الحجر الصحي تأثيرا كبيرا وهي نسبة 32.6% وهذا ما يبينه الرسم عدد 1 ويمكن توقع هذه النسبة، لأن التونسي كثير التجوال والتواصل والتجمعات والجلوس في المقاهي والملاهي خاصة الشباب، وبالتالي ليس من السهل أن يجد الفرد نفسه وبصفة فجئية محصورا بين أربع جدران ولا يخرج إلا للضرورة القصوى ولا يتزاور ولا مرح للأبناء إلا داخل البيت، مع التعطيل الكلي لكل الأنشطة المهنية. فالعملية الصعبة تتمثل لدى البعض ليس في الحصر فقط بل فيما وراء الحصر في كيفية قضاء يومه دون أي نشاط مهني أو ترفيهي. فقد ازداد تأثر التونسي قلقا وهو مشدود إلى شاشة التلفاز يواكب التزايد المتواتر لعدد الإصابات في تونس ومع رصد الكارثة التي حلت بالدول الأوربية من ارتفاع لعدد الضحايا اليومي الذي قدر بالآلاف، وكيف أضحت مدن اروبا مدن أشباح والحزن مخيم عليها. فما أثّر في التونسي بشكل كبير هي الصور والمشاهد اليومية. فانتابه هاجس الخوف والقلق خاصة في ظل غياب عمليات التواصل بين المجموعات التي لها تأثير في الحدّ من القلق عند الأفراد. فالخطاب حول كورونا احتل حرفيا الفضاء العمومي والشخصي في العالم منذ انتشاره خارج الصين، فهناك سيطرة شبه الكاملة لخطاب المرض[3].

هذه النسبة المتأثرة بالحجر الصحي، نجد إلى جانبها نسبة أخرى متأثرة جدا وهي نسبة 12%، ولو جمعنا النسبتان نجد أن الحجر الصحي أثر بشكل كبير على فئة كبيرة من المجتمع التونسي بلغت حوالي 45%. فالحجر بدا ضبابي في أوله، وليست هناك دراية للفرد للمدّة التي سيقضيها وهو معزول عن بقية العالم، في ظل تعطّل لجلّ

[1]- خيرة بن حليمة، استراتيجيات الوقاية من العدوى فيروس كوفيد 19 لتعزيز الخدمة الصحية في المؤسسة الصحية الجزائرية، مجلة الاقتصاد والبيئة، المجلد 04،العدد 02 أكتوبر 2021، ص167.

[2]- عقيل سعيد محفوض ،حادث كورونا وما بعده العالم على نشأة أخرى، مجلة الاستغراب، مرجع سابق، ص 134.

[3]- عماد عبد اللطيف، الخطاب حول كورونا كيف نتحدث مع الناس بشأن المرض؟ الشروق، السبت 11-04-2020،ص1.

المصالح والقطاعات الحيوية والقطع مع الحياة الطبيعية. فالآثار كانت اشدّ وقعا على الفئات الهشة أو العاطلين عن العمل، وأصحاب العائلات المرتفعة العدد، فحجم الطلبات في مجتمع استهلاكي لا تنتهي، وموظفي وعمال القطاع الخاص تعذر على معظمهم صرف مستحقاتهم، مما أثر في نفسيتهم وانتابت الحيرة نفوسهم وازداد الضغط النفسي والقلق على أصحاب المسؤوليات أكثر من غيرهم.

وبدرجة أقل حدّة، أثر الحجر الصحي بنسبة 24.5% على التونسيين، ومرد الإقرار بضعف التأثير يعزى لعوامل مختلفة، فهذه الفئة قد ترى في الحجر الصحي بمثابة الراحة أو العطلة أو فرصة وشكل من أشكال الوقاية من المخاطر. وبالتالي مسألة القلق والضغط النفسي ليس هاجس بالنسبة لبعض الفئات مقارنة بخطر الموت. فهناك نظر لمسالة الحجر من الجانب الموجب وهو الوقاية والتوقي حتى لا تصيبه عدوى فيروس كورونا. كما أن هناك فئات لا تتأثر كثيرا بالبقاء بالمنزل ويمكن أن تكون معتادة على ذلك. كذلك مسالة القلق أو الانفعالات والتوترات تحكمها أحيانا طبيعة الشخصية فإذا كانت الشخصية ذات طابع هادئ فطبيعي أن لا يكون لها قلق كبير.

وأخيرا نجد نسبتان تقر بعدم تداعيات الحجر الصحي وترى فيه فرصة لاستثماره في المطالعة أو القيام ببحوث علمية أو مراجعات أو إصلاح. فالحجر تأثيراته تبدو متفاوتة ومحكوم بعدّة عوامل، مهنة الفرد وطبيعة النشاط أو المكانة الاجتماعية، ودرجة الخصاصة التي يشكوها الفرد وبحسب المسؤولية التي على عاتقه وبحسب مكتسباته المادية.

ونجد في خاتمة المطاف نسب تبدو متقاربة وهي التي ترى للحجر الصحي تداعيات صحية، من يشكو من التشدد الأمني وبين من يرى أن الحجر لم تكن له أي تداعيات تذكر. فهي نسب بسيطة وضعيفة. وهذه الفئات الثلاث هي التي تكون متكونة من أصحاب الأمراض المزمنة وبالتالي طبيعي أن تكون هناك أثار صحية خاصة وان زيارة العيادات الطبية تعطلت بحد ذاتها. أما أولئك الذين انتابهم نوع من القلق من الممارسات الأمنية وتشددها فهم الفئات الذين وجدوا صعوبات في التنقل واستعمال وسائل نقلهم الخاصة ووجدوا صعوبات في التراخيص.

والفئة التي لم تعترضها أي صعوبات طيلة فترة الحجر فهي يمكن أن تكون فئة ملازمة للبيت بطبيعتها وبالتالي لا أثر للإجراءات الجديدة فهي باقية في منازلها بطبيعتها، أو فئات وجدت في الحجر الصحي فرصة للراحة والحد من ضغوطات العمل والضجيج والمشاكل اليومية.

1- تداعيات الحجر على نمط العيش

الرسم عدد2: تاثير الحجر الصحي في نمط العيش.

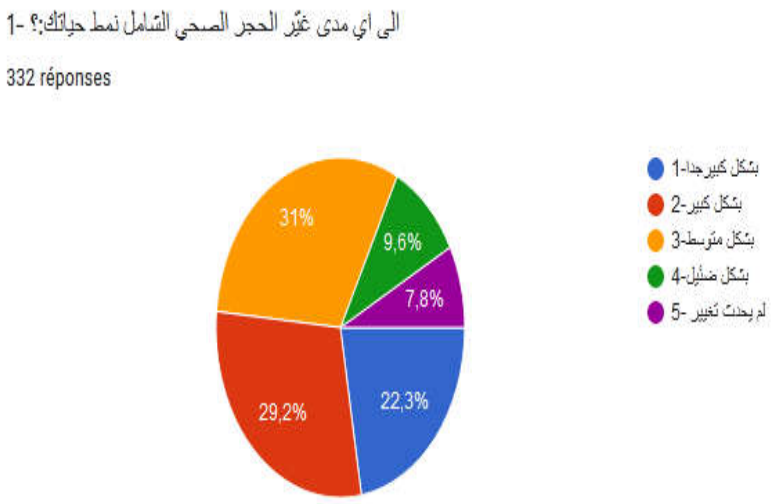

يمكن القول وأن هناك تداعيات للحجر الصحي على نمط العيش عند التونسي وهي نسبة تراوحت بين التداعيات الكبيرة جدا والتداعيات الضئيلة والتي تجمع نسبة 92.2% من حجم العينة، (الرسم البياني عدد2) أما نسبة الذين لم يغير الحجر الصحي من نمط عيشهم هم 7.8% فقط. والمقصود بالتغيير هنا هو تحول في السلوك والمزاج والتوازن النفسي عند الفرد، الذي كان يتنقّل بكلّ حرية ويقيم التجمعات ويتواصل بشكل مباشر ويعمل ويمارس الهواية، ويتنزّه. ثم فجأة ينقطع كل شيء ويتحول هذا الفرد إلى كائن محجور ليس له أي نشاط مهني أو ترفيهي.

تعزى الآثار والتداعيات من جائحة كورونا إلى عدة عوامل، من بينها الفضاء الذي يسكنه الفرد، فالقلق عند القاطن في العمارة وفي المناطق الحضرية أكثر مقارنة بالذي يسكن في منزل به حديقة أو في وسط شبه حضري أو ريفي. فالمجال حسب "كورت لوين" له تأثير مباشر على الفرد في المزاج والطبيعة النفسية. أيضا الوضع المادّي له جانب مهم من التأثير في تغيير السلوك، فالأنشطة تعطلت بصفة فجئية، وهناك العديد من الذين واجهوا صعوبات وأوضاع معيشية صعبة طيلة فترة الحجر زعزعت الثوابت النفسية وأفقدت العديد أعصابهم، ترتب عنها ارتفاع نسب العنف اللفظي والمادي داخل الأسرة.

يزداد الحجر الصحي تأثيرا في نمط حياة الفرد، خاصة عندما يتعلق الأمر بالمجال الصحي، فالوضع الوبائي خطير عند الموجة الأولى، والأموات بالآلاف يوميا في العالم والانتشار سريع، وفي ازدياد مستمر، والدواء غير موجود، (واللقاح ليس جاهز ويتطلب المدة الزمنية حتى يقع اختباره والمصادقة عليه من قبل منظمة الصحة العالمية). فالجو العام كان قاتما، والخوف انتاب البشرية وكأنها مقبلة على حرب كونية شبيهة بالحروب العالمية السابقة (وبفترات الاستعمار) بل وأكثر، خاصة وأن وسائل الإعلام والتواصل الاجتماعي تكررت لديها كلمة كورونا

" ألاف المرات وفي لحظات قصيرة، فأصبح العدو الأول للإنسان هو هذا الفيروس[1]. لذا فليس للأفراد من شيء سوى الحذر والتباعد والانفراد وقطع مختلف أشكال التواصل المباشر واللقاءات من أجل السلامة.

2- تقييم درجة التأقلم مع ظروف الحجر

الرسم عدد 3: التأقلم مع الحجر

نجد حوالي نصف أفراد العينة المستجوبة يقرّون بنسبية النجاح في التعامل مع الوضعية الجديدة. وليس ذلك بغرابة في مجتمع يقضي جلّ أفراده، من الطفل الذي في المحضنة إلى الكهل الذي يعمل، خارج البيت. فالفضاء العام أكثر استقطابا لمختلف الشرائح الاجتماعية منذ طلوع الشمس إلى بعد غروبها. فالإجابة بالتأقلم نسبيا يمكن ربطها بالجدول الأسبق الذي اتضحت من خلاله الآثار النفسية في مقدمة الآثار، وبنسبة عالية مقارنة ببقية الآثار. فليس من السهل التأقلم مع وضعية جديدة أجالها غير محدودة ومخاوفها أكثر من أمالها.

ومسألة التأقلم نسبيا نعني بها أن الأفراد وجدوا، أنفسهم في وضعية لا خيار لهم سوى القبول بالأمر الواقع، لأن الوضعية لا تخص فئة أو دولة وإنما العالم بأسره. فالتأقلم نعني به تقبّل الفرد الوضعية دون أي قلق أو نفور أو سلوكيات عنف واشمئزاز.

هناك فئة (حسب الرّسم 4)، تأقلمت بسرعة مع الوضع ولم تجد صعوبة تذكر. وهي فئة يمكن أن تكون من المهنيين الذين لقوا في الحجر فرصة للراحة والتحرر نسبيا من ضغوطات العمل واكراهات الروتين وفرصة أيضا للتجمع الأسري الذي عادة ما يكون سوى في الأعياد والمناسبات. لذا كانت فترة الحجر مناسبة ومريحة بالنسبة إلى البعض حتى أن البعض كان ينتظر المزيد والإطالة في المدّة.

[1]- أسيا كسور، دور سلطة الضبط الاجتماعي على فعالية التباعد الاجتماعي في ظل جائحة كوفيد19، ص107.

وفي المقابل نجد الفئة التي لاقت صعوبة في التأقلم مع فترة الحجر الصحي لأنه لا قبل ولا عهد لهم بمثل هذا الحصر. "فالحدث هنا... خلق جديد ونشأة مستأنفة وعالم محدث حسب تعبير ابن خلدون فضلا على انه يثير أو يشكّل تحديا معرفيا أيضا لجهة الصعوبات في تعريفه وتحديده[1]". فالضغط قد تحكمه عوامل ثقافية وشخصية، فالشخصية التونسية كما وصفها الأستاذ "المنصف وناس" هي شخصية كثيرة التأفف وسريعة القلق وهي شخصية مستنفرة على حدّ تعبير الأستاذ "محمود الذوادي". فالقلق والصعوبة في التأقلم مع الحصر نتيجة ثقافة بأكملها لدى فئة من الشباب والفئات التي ترتاح في الفضاء العمومي أكثر من الارتياح بالفضاء الخاص. فالفضاء العمومي فيه اللقاءات والتفاعل والأخبار والنقاشات والترفيه والهامش من الحرّية، وفيه نوع من الراحة بالنسبة لغالبية الأفراد في حين يكون الفضاء الخاص المنزل فضاء المسؤولية والواجب والانضباط. وبالتالي يكون الفضاء العمومي والأوقات خارج البيت أفضل وأقل ضغط من البقاء في المنزل. فعلى هذا الأساس تبدو هذه الفئة الأخيرة قد وجدت صعوبة في التفاعل مع الحجر وعكّر من مزاجها وزاد من درجة قلقها واهتزاز نفسيتها.

3- طبيعة تداعيات الحجر.

الرسم البياني عدد 4: التأثيرات الصحية النفسية للكورونا

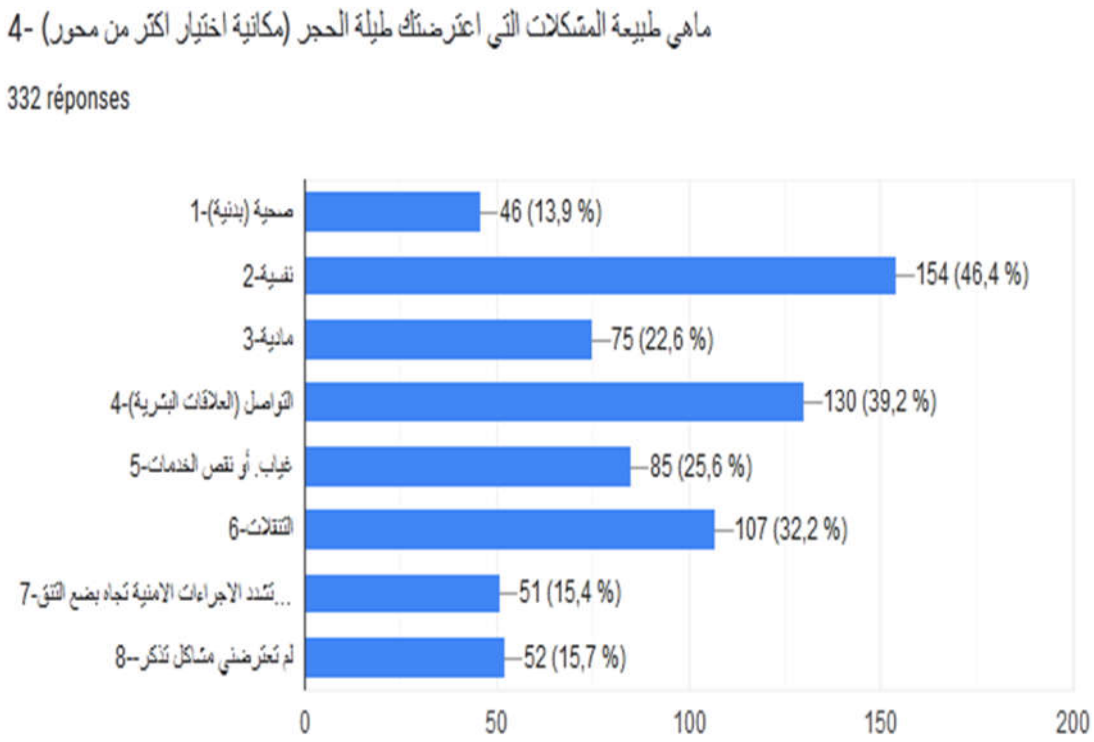

[1]-مجلة الاستغراب، مرجع سابق، ص134

يرى بارك (1986) بأن المخاطر التي تصيب الإنسانية وتهددها، (سواء الطبيعية مثل الكورونا، أو المصطنعة و"المبنية اجتماعيا" والصادرة عن المخابر العلمية والبحثية مثل كارثة تشرنوبيل او هيروشيما)، تؤثر بدورها على المجتمع في كليته وفي تفاصيله حيث تساهم في إعادة بناء العلاقات الاجتماعية والتفاعل الاجتماعي بين الأفراد وفي تغيير أنماط العيش. ولقد تأثّر التونسي بشكل مباشر وقوي طيلة فترة الحجر الصحي، وهو ما يدّل عليه الرسم البياني رقم 3، فنجد أعلى نسبة تصل إلى 46.4% من الذين اشتكوا من ضغوطات نفسية وقلة ارتياح. (وكما بينّا سابقا فإن المسألة متعلقة بمجال صحي والوباء خطير وجديد والفيروس مستجد، ومواجهته ليست علاجية بل وقائية، وتأثيراته وخيمة خاصة على كبار السن وأصحاب الأمراض المزمنة، فالخطر بات يتهدد الجميع). كما أن وسائل الترفيه للحدّ من الضغوط النفسية باتت مستحيلة وهو ما زاد من التوتر والقلق، فالطبيعة النفسية تأبى الفراغ وقلة النشاط وتملّ الروتين والوضع الستاتيكي الذي أصبح عليه التونسي (كسائر البشر في العالم). فطبيعي أن نستمع يوميا لتأفف كما بين ذلك الأستاذ "المنصف وناس" في كتاب "الشخصية التونسية" فحتى القاموس الاجتماعي اللغوي طغت عليه عبارات ونبرات الغضب والأعصاب المتشنجة من ذلك (الفدّة، ملا عيشة، شيء يعيّف، وقتاش توفا ها الأزمة، وقتاش نرجعو كيف ما كنا، ها الكارثة، ها المصيبة، الصّبر...) وهي عبارات ترددت وكنا نسمعها عند قضاء المستلزمات اليومية عند الطابور أمام المفازة والمحلات والصيدليات... والمسافة لا تقل عن المتر بين الحرفاء. مع النبرة الحادة وردات الفعل التي تدل على حالة التوتر والغضب وعدم الرضي من الوضعية التي أصبح عليها (خاصة لدى البعض ممن ألفوا التجوال والجلوس في المقاهي واللقاءات اليومية).

ومن المشكلات التي يثيرها التونسي في هذا الصدد معضلة أو بالأحرى انعدامه على التواصل، وهو دليل على أهمية التواصل عنده، وأهميته في الحياة النفسية. فالتواصل يحقق الارتياح والتفاعل وينتج السلوكيات ويقيّم الفرد نفسه من خلال اللقاءات والاحتكاك بالأخر ويهون من مصيبته وخوفه عبر التفاعل والمحادثة. وهذا ما يثيره العلامة ابن خلدون على الذي يعتبر أن الناس تلتقي من اجل قضاء الحاجات و"للأنس بالعشير" لأن الإنسان مدني بالطبع لا يستطيع العيش إلا في الحضيرة والتواصل هو أهم شروطها.

وتأتي مشكلة النقل (الذي يحتل المرتبة 3) لما يمثله في الحياة اليومية للفرد والمجموعة سواء التنقل للعمل أو للدراسة أو للزيارات أو حتى للترفيه. (إلا أن جائحة كورونا ترى في الحدّ من التنقل من أهم وسائل الوقاية والحدّ من انتشار العدوى بين الأفراد. ومن الطبيعي أن يكون التنقل من ضمن الإشكالات التي واجهها التونسي بل كل مواطن في العالم، فالمشهد بدا غامضا ومخيفا وعديد المصالح باتت معطلة)، فالمواطن وجد نفسه يدور في أمتار محدودة وقليل الحركة خاصة الحضر وبالتحديد متساكني العمارات. فالتنقل إضافة عن كونه عملية تنقل من مكان لأخر لقضاء الحاجات ومع ذلك فهو نشاط ترفيهي ومن شأنه الحدّ من الضغوط النفسية والقلق ويكسب الفرد إحساس بنوع من الحرية.

كما أثرت قلة الخدمات أو نقصها على مزاج التونسي، فالمواطن في ظل البروتوكول الصحي المفروض وجد نفسه غير قادر على قضاء الحاجيات. فيمكن أن تكون هناك مصالح معطلة بما فيها خدمات صحية مثل نقص بعض المواد أو أصحاب الأمراض وجدوا أنفسهم عاجزين على قضاء حوائجهم ومتابعة مواعيدهم الصحية الشيء الذي أثار مخاوفهم. يجد هذا القلق مبررا في تردي الخدمات في القطاع العام الناتج عن التسيب وتصاعد الاحتجاجات.

أما العامل المادي فنجده يأتي في المرتبة الخامسة وهو ما يبيّن الإشكال بالنسبة للتونسي طيلة فترة الحجر ليست مادية بالأساس، بل معضلة ليست ذات أهمية كبرى طالما المصالح معطلة. فالجانب المادي بالنسبة إلى المواطن التونسي لتلبية الحاجيات الضرورية فقط، فماهي الفائدة منه طالما المصالح معطلة والتنقل ممنوع والجولان محظور. كما أن المنحة بقيمة 200د للحالات المعوزة قد يكون لها من الآثار والحد من الشعور بالنقص المادي كما أن يجب الإشارة في هذا العنصر بالتحديد من أن العينة قد استهدفت بالأحرى الفئات المرفهة والمتوسطة وقلما فقيرة وقد يكون عدم إثارة المشكلة المادية ناتج عن بداية الحجر وبالتالي يمكن أن تستعمل الأسر لمدخراتها او مخزونها الغذائي والمادي لدى البعض.

II. عوامل ساهمت في تفاقم وتأزم نفسية التونسي.

- التركيز المفرط من قبل وسائل الاعلام على الجائحة والذي خلق حالة من الهلع والتشنج
- انقطاع الانترنت والتواصل مع الأهل والاصدقاء
- تردي الوضع الاجتماعي والسياسي (فساد،تهريب، احتكار السلع، ازمة سياسية) مما يولد حالة احباط لدى المواطن
- احباط من الحالة المتردية للمرافق الصحية
- –إحباط من غياب الوعي المواطني (–نتيجة استهتار البعض من إجراءات الحجر
- فقدان الأمل من تجاوز هذه الجائحة
- عدم وضوح الرؤية

1–مجالات وأنماط العيش الأكثر تأثرا بالحجر

الرسم البياني عدد5: المجالات الأكثر تأثر بالحجر

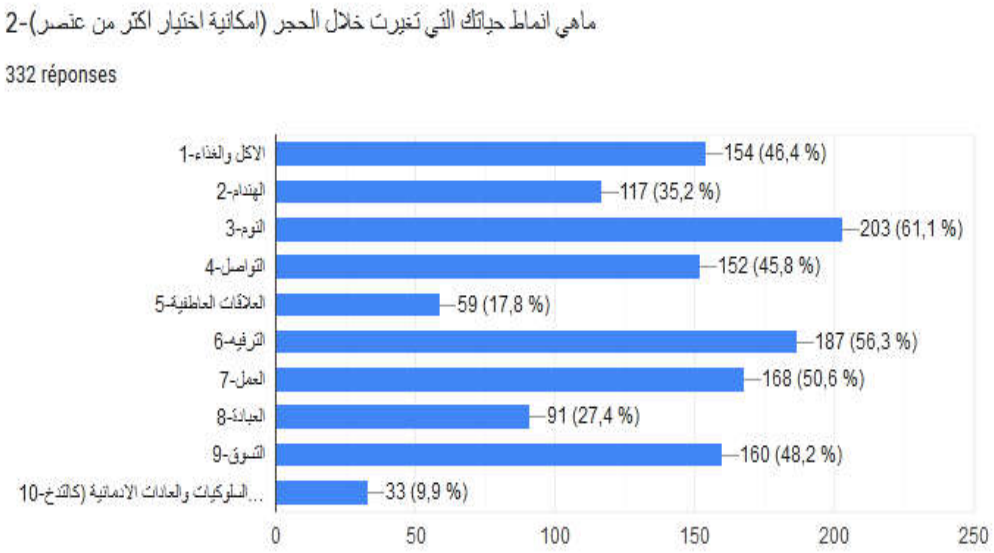

وضع "ستانلي باركر" في قاموس علم الاجتماع تعريفا للوقت الحرّ بما أنّه "الوقت الفائض بعد خصم الوقت المخصّص للعمل والنوم والضرورات الأخرى من الأربع والعشرين ساعة، فتستحضر في استعمالاته في الحسّ المشترك عبارات من قبيل »وقت الفراغ، تضييع الوقت، تقصير الوقت، وقتل الوقت. ونلاحظ من خلال هذا الرسّم أن السلوكيات الأكثر تأثرا بالحجر الصحي هي سلوكيات حيوية بالأساس فكان النوم من أولى المسائل. دليل على عدم الارتياح لأن اضطرابات النوم[1] أو كثرة النوم دليل على القلق النفسي والتفكير السلبي وأوهام وكوابيس تمنع من نوم مريح. كما أن التونسي طيلة فترة الحجر الصحي كان همه الأساسي الأخبار ومواكبة مستجدات الوضع الوبائي في الداخل والخارج. وفي ظل قلة النشاط يستسلم ألليا للنوم لتمضية الوقت، لان النوم وسيلة للهروب خاصة للعاملين.

من ناحية أخرى تبدو المدّة الزمنية الطويلة والبقاء في المنزل لعدّة أيام دون أي نشاط يذكر وعيش حالة من الستاتيكا الاجتماعية، تبدو المسالة عسيرة وبمثابة الشلل في الحياة الاجتماعية والتي أضحت فيها العزلة شرط ضمان السلامة، ومما يدل على أن وضع التونسي النفسي تأزم طيلة فترة الحجر هو فقدانه لعنصر الترفيه وهو أهم عوامل الراحة النفسية والحدّ من الضغط، ونجد هذا العامل في المرتبة الثانية بعد النوم، فأخبار مخيفة ومحدودية في الخروج إلا للضرورة القصوى، والزيارات والتنقل المحصور والمجالات الترفيهية المغلقة لذا طبيعي أن تكون مجالات وأنماط العيش قد أصابها نوع من الاهتزاز وتصبح الحيرة شعورا ينتاب الجميع.

كما نجد مسائل أخرى قد تأثرت بدورها عند فترة الحجر، وهي قيمة العمل حيث بلغت النسبة 56.6% من حجم العينة وهي نسبة نصف الفئة المستجوبة. فالعمل نشاط انسابي وفضاء للتحرر وتحقيق الحاجيات الضرورية. وأمام خطر يتهدد الجميع تصبح قيمة العمل غير ضرورية، الصحة أولى من العمل وتتعطل جميع الأنشطة خوفا من انتشار العدوى. فإذا كانت وظيفة العمل من اجل قضاء الحاجات وتكديس الثروات فإن جائحة كورونا قلبت الموازين والمعادلة ولم تعد تعنيها تكديس الثروة في شيء أمام موت بات يتهددها وفي ظل غياب لقاح فعال. فلقد

[*] 1- ارتباط النوم بالساعة البيولوجية

حول الكورونا الأنا إلى النحن ودلّ بشكل قاطع بأن الناس ليسوا متساوين فقط، بل مندمجين معا وان مصير كل إنسان متداخل مع الإنسان الأخر في نسيج منسجم وكل معقد متحد، وليس الأمر بأنه إن استطاع احد أو جمع ما "أن يقلع شوكه بيده" سيتمكن من النجاة بنفسه ويأوي الى ركن شديد ويعيش حياته هانئا في فقاعته المستقلة وجزيرته المعزولة إما أن نحيا معا أو نموت معا وهذا درس الكورونا العظيم[1].

. وإذا كان العمل قد تأثر عند العامل أو الموظف ليس بغاية الحاجة المادية فقط بقدر ماهو فرصة للترويح والانشغال بالمهنة والتواصل واللقاء مع الأخر، من أجل الحدّ من الضغوط النفسية وتحقيق التوازن النفسي كما تشير إلى ذلك نظرية "ليون فاستنغير" الذي يرى في التواصل حدّ من مخاطر النشاز والتوتر. وبناء عليه نجد أن كل من عامل التسوق والتواصل تأتي بعد قيمة العمل. فالتسوق والتواصل أنشطة للترويح والدخول في العلاقات في الفضاء العمومي. إلا انه في ظل تعطل جلّ الأنشطة والمصير المجهول يجد المواطن نفسه في حالة هذيان وذهول قصوى بحثا عن معوض للوضعية التي هو عليها، بالفراغ ليس الأمر سهلا.

إجمالا نلاحظ أن هناك جملة من الأنشطة اليومية قد أصابها نوع من التأثر سواء بشكل كبير أو نسبي. فالحجر الصحي بمثابة القطيعة الاجتماعية التي ستعيد ترتيب الحياة الاجتماعية من جديد. حياة بسلوكيات جديدة، حذرة، خائفة، متباعدة اجتماعيا، محتاطة، غير متوازنة نفسيا.

يمكن أن يكون الإحباط واليأس وعدم الرغبة في ملاقاة الناس والإحساس بالتعب والإرهاق والإحساس بالفشل والحزن وكره الذات والخمول كلها أحاسيس تخزّن طاقة سلبية في الفرد تجعله في حالة عزلة وانطواء وتقوقع على الذات تقلص من الجلسات العائلية وازدياد الخمول والاستنفار، وازدياد درجة الحساسية والتوتر في الأعصاب المستمر. كل ذلك دليل رفض كلي للمواطن للوضعية التي هو عليها ومنتظرا بفارغ الصبر للخروج من السجن الذي سجن الجميع دون إدانة. فهمّ العيش والبقاء هو الينبوع الأصلي للفعل الإنساني[2].

2-تأثير الوباء على المردود الدراسي.

الرسم عدد6: الكورونا والمردود الدراسي

[1]- علي أسعد وطفة، الهوية الإنسانية في زمن كورونا، نوفمبر، 2020،ص6.

[2]- جون إهرنبرغ، المجتمع المدني، التاريخ النقدي للفكرة ، ترجمة، علي حاكم صالح وحسن ناظم، ط 1، المنظمة العربية للترجمة، 2008، ص184

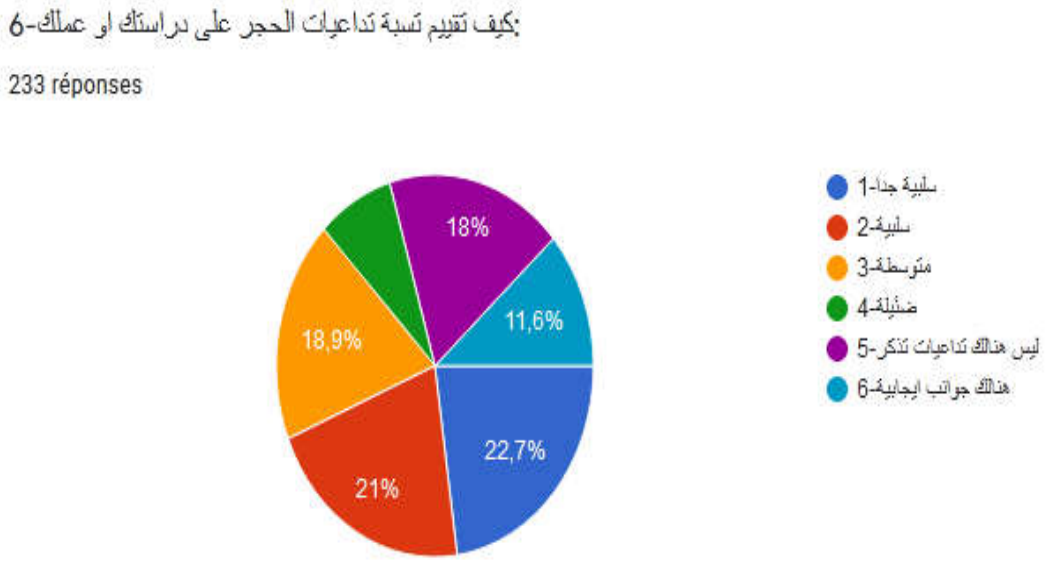

يمكن الحديث عن أثار سلبية للحجر الصحي على المنظومة التعليمية وعلى دراسة الأبناء وهي شهادة الغالبية العظمى من الفئة المستجوبة. فالبرامج لم يقع تبليغ الحد الأدنى منها. وطبيعي أن تكون هناك أثار سلبية وسلبية جدا لأن التعليم يقوم على التحاور وعلى البيداغوجيا التلقينية والحوارية والمربي أحيانا ملقن وتارة منشط وبهذا الشكل تتم العملية التربوية والتعليمية. والآثار السلبية لا يدركها عامة التلاميذ باستثناء المجتهد والمواظب من التلاميذ، وتلاميذ الأقسام النهائية أكثر من غيرهم باعتبار التزامهم بالبرنامج. ولعل الرغبة في حدّ ذاتها تتأثر عند عموم التلاميذ نظرا لانشدادهم لتطورات الوضع الوبائي والخوف المخيم عليهم وعلى من سواهم من أفراد العائلة. فالمشهد ضبابي والوباء في انتشار مستمر والموتى بالآلاف والدواء لا حديث عليه واللقاح رهين التجارب المخبرية التي تتطلب شهورا وأكثر، والعودة إلى مقاعد الدراسة غير واضحة الملامح، إضافة للترفيه المحجور والتواصل الممنوع فكيف الحديث عن رغبة أو مواظبة على الدراسة.

هناك فئة ترى في الآثار متوسطة على المسار الدراسي ويمكن القول أن من يرى في بساطة الآثار غير مدرك للنتائج المستقبلية التي سيترتب عنها الوضع. فأي نقص في التكوين يمكن أن يفرز نتائجه في المستقبل سواء في التعليم الابتدائي أو الثانوي أو حتى التعليم الجامعي لأن هناك قواعد أساسية لا بد للتلميذ أن يتسلح بها يبنى عليها التكوين التربوي والمعرفي. فالتأثير المتوسط حسب هذه الفئة راجع لمواظبتها على الدراسة لمفردها وانجاز التمارين والمراجعة في ظلّ حرص الأولياء رغم ظروف الجائحة. نفس الرأي نجده عند مجموعة ترى أن الحجر لم يؤثر على الدراسة وهناك من اعتبرها فترة ايجابية يمكن استثمارها سواء في المراجعة أو الراحة. أو اللهو عبر الانترنيت وشبكات التواصل الاجتماعي والألعاب الالكترونية.

III. الحالة النفسية للتونسي على ضوء الموجة الثانية (أكتوبر 2020)

- **الرسم البياني عدد 07– إحساس التونسي عند عودة الوباء**

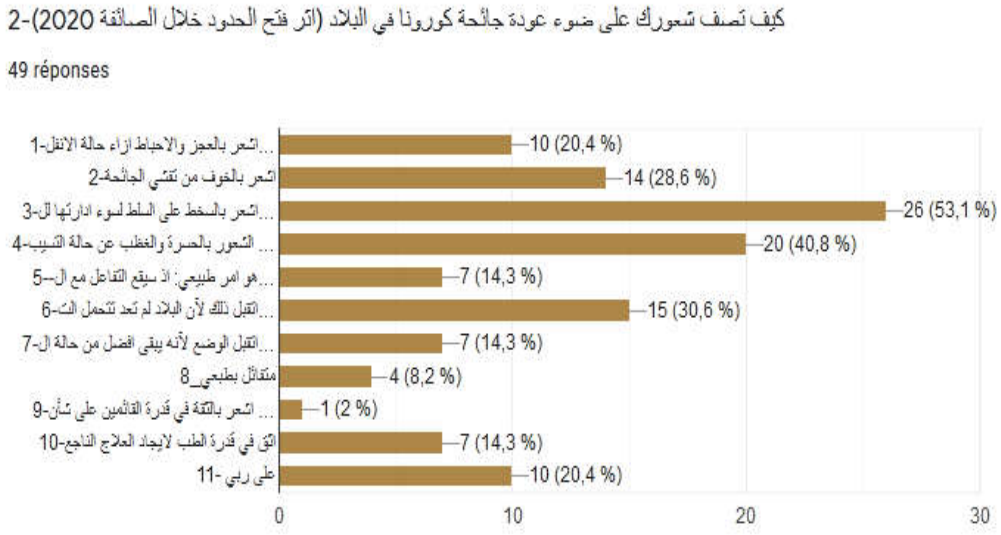

-
- يدعم هذا الرسم البياني الرسم الذي سبقه والمتعلق بنفسية المواطن التونسي عند عودة جائحة كورونا في موجتها الثانية في أكتوبر 2020، وفي هذا الرسم نرصد فيه أصابع اللوم على السلط في فتحها للحدود وعدم اخذ الاحتياطات اللازمة للحد من انتشار الوباء. فالمواطن كان قد استبشر وتنفس الصعداء بانتهاء الموجة الأولى معتقدا أن الوباء انتهى إلا أن عودة الوباء أثرت فيه مذكرة إياه بمشهد الحجر الصحي الأول وما خلفه من تعب في صفوف الغالبية العظمى من المواطنين. ومن الأحاسيس الطاغية في الرسم نجدها أحاسيس متشائمة محبطة بائسة خائفة متحسرة غاضبة، وهي نسب تجاوزت العشرون بالمائة أي حوالي خمس أفراد العينة.
- في رأي أخر هناك من تقبل الوضع ويرى فيه ضرورة التأقلم مع الوباء إلى حين إيجاد اللقاح وانفراج الأمور وهذا الرأي نجده عند 30% من أفراد العينة و20% تترك الأمر على الله لا حيلة لها سوى الصبر واخذ الاحتياط والحذر. فالمواطن التونسي بات في حيرة من أمره إما العيش والتعايش مع الوباء وتسليم أمره إلى الله بحسب ما ورد في الرسم أو البقاء في المنزل والعودة للحجر الصحي إلى أن يأتي ما يخالف ذلك.
- ما نلاحظه في هذا الرسم وان المواطن تأثر بالموجة الثانية أكثر من الموجة الأولى لأنها كانت أكثر سرعة من حيث الانتشار ونسب مرتفعة في الإصابات والعمل والترفيه وقضاء المصالح باتت شبه معطلة. فالتعب ومخلفات الموجة الأولى لم تنتهي بعد، وإذا بالموجة الثانية تبدأ في الانتشار وهو ما تسبب في تضاعف الحالة المرضية النفسية واهتزاز التوازن النفسي وفقدان الأمل. ولعل السلوكيات التي نلاحظها بالرسم فيها نوع من الاستسلام للواقع وهي نسبة 14.3% متكررة عند فئات تقّر بتقبل الوضع، وفئات أخرى ترى بان الأمر طبيعي، وهو ما يدل على الغياب الكلي للحل في تلك الفترة وليس للفئات الاجتماعية سوى الصبر وقبول أمر الواقع حتى لا تزداد النفسية تعبا وإرهاقا وضغطا.

IV. التباعد الجسدي وارتباك المشهد السيكولوجي التونسي.

من المنطلق أن الإنسان غير قادر لوحده على توفير حاجاته المعيشية، التي فرضتها هذه الأزمة الصحية،وفي الأصل أن الإنسان يعتبر ميال إلى العمل الجماعي التضامني مع الآخرين في وقت الشدائد، ويرجع ذلك في نظر ابن خلدون إلى" أن قدرة الواحد من البشر قاصرة على تحصيل حاجته من الغذاء غير موفية بمادة حية منه[1] . كما أن قضاء المصالح والحاجات لا يتم إلا في إطار المجموعة. ولكن جائحة كورونا قد غيرت الطبيعة الإنسانية ومجرى الأحداث الطبيعي حيث فضلت عزلة الإنسان وتباعده وأخذه مسافة الاحتياط للسلامة والأمان. وعلى الرغم من أن مقاصد الحجر والتباعد مقاصد نبيلة وإنسانية إلا أنّ تقبلها ليس متساوي عند عامة الناس فهناك من يرى في الحجر والتباعد الجسدي ضرورة ظرفية لا بد من احترامها وهناك من يرى في تغيير الصورة الطبيعة مسالة صعبة وليست سهلة التطبيق. هناك مخلفات نفسية واجتماعية في صفوف العديد من فئات المجتمع وارتبكت نفسيتها وحصل لها ما يعرف بالصدمة في الجانب النفساني وخيبة الأمل عندما وجد الفرد معزولا حتى على اقرب الناس إليه زوجته أو ابنه أو أخيه. فالكائن البشري يتواصل باللغة وبالجسد وبالاحتكاك ويبلغ رسالته ومقاصد تواصله عبر أشكال متعددة ومتنوعة من ضمنها رسائل حميمية مشحونة بالحب والمودة والتفاعل والتقابل تبلغ درجة الانصهار أحيانا. وعندما تتقلص وتنقطع هذه الشحنات والرغبات الجسدية فجأة ينتاب إحساس وشعور لدى الفئات بفقدان الآدمية والإنسانية والطابع المدني الطبيعي. وإحساس بالاغتراب وفقدان معنى الوجود فحتى الحياة فقدت جانب كبير من رونقها وبريقها ومعناها بفعل التباعد. فالاجتماع الإنساني أصبح غير مألوف وغير مرغوب فيه بل خطير ويحمل دلالات المرض والفناء. والحياة باتت مصطنعة وعلى غير عادتها المألوفة، وخالية من طابع العفوية والمغامرة، فجمال الحياة في طبيعتها وكل ماهو زائد على الطبيعة أو مغير للطبيعة بالأحرى فهو مفروض ومرفوض.

اتضح من خلال هذه العزلة والقلق والارتباك والانطواء ومختلف المشاكل النفسية المترتبة عن الحجر الصحي أن الفرد لا يمكن له العيش إلا في إطار المجموعة وليست الغاية التعاون وقضاء الحاجات فقط بل هناك دوافع أخرى تتمثل في التقييم للذات وللبعد المعرفي والمقارنة والاقتداء والاستماع للآراء والأخبار تفاديا لكل فعل نشاز حسب فاستنغر. مع دعم روح الانتماء والمراجعة لأن المجموعة هي مرجع بالنسبة للفرد حسب هايدر وعند الإحساس بالوحدانية تتولد لدى الشخص نزعة إلى خفض حدة التوتر والنشاز الذهني (نتيجة الانقلاب في الأنماط والأدوار ضمن الأسرة وخاصة لدى الآباء الذي يتذمرون من تقلص سلطتهم جراء الحجر) : اللجوء إلى تبرير الوضع بكونه مؤقت أو خطير. ويمكن اعتبار هذه الرغبة في العيش المشترك بأنها غريزية في الإنسان وكأنّ هناك مغناطيس يتجاذب من خلاله الأفراد للتحاور والتواصل والتزاوج بحثا عن الأمان والشعور بالوحدة والقوة والتعبير عن الهوية والانتساب إلى المجموعة كحاضنة، وسند نفسي فعلى سبيل المثل ما إن فتح الحجر جزئيا حتى استعاد الفرد هذه الغريزة وانغمس في المجموعات والحشود بلهفة وكأنما يريد أن يعبر عن رفضه اللاشعوري للحجر وأنماطه،

[1]- عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، تحقيق عبد الله محمد الدرويش،دار يعرب، ط1،دمشق،2004،ص 137.

وهو ما يثبت أن الذات هي بناء اجتماعي حسب "كولي". فشخصية الفرد هي انعكاس للمجتمع ولا معنى لوجود الفرد بمعزل عن المجموع ودون تفاعل واحتكاك مستمر.

هذه القيم التي استبطنها الفرد في العيش المشترك وعلى الرغم من أنها طبيعية وغريزية في الإنسان باعتباره مدني بالطبع ومع ذلك لا تخلو من طوابع ثقافية متنوعة ومختلفة تتدرج في إطار الأنثروبولوجيا الثقافة والبيئة التي ينتمي إليها الفرد. فالمجتمع التونسي جزء لا يتجزأ من حضارة عربية إسلامية يكون الدين إحدى عواملها الأساسية في تشكيل العقل والوعي الجمعي. فهناك العديد من الطقوس والتشريعات والرموز الثقافية المشكلة لبنية العقل العربي. فالنصوص الدينية والأحاديث النبوية الشريفة وما احتوت عليه من أوامر تحث الفرد على العيش المشترك ووجوب التواصل والتزاور وصلة الرحم التضامن والتعاون والتألف ولا معنى للفرد الذي ينسلخ من قيم المجموعة ولا يصل الأرحام. وتأسيسا عليه فصعوبة العزل وقلة التواصل وعدم قضاء الأفراد للوقت الحر مجتمعية تخلق في التونسي نوع من النشاز بين قيم وممارسات وعادات سار على هديها منذ التنشئة الاجتماعية. وتحثه على تطوير أشكال التواصل الإيجابي لمزيد حفظ الثوابت الاجتماعية والحفاظ على الاستقرار والسلم الاجتماعي عبر التماسك. وبين قيم جديدة ترى في الوقوف مؤقتا عن مختلف هذه الأشكال والممارسات والعادات بما في ذلك العبادات الجماعية لتصبح الشرط الضامن للحياة والبقاء هو الفردانية. وليس من السهل الاستغناء عن ممارسات وأنشطة كانت قد اعتادت عليها وتقضي بها أوقات فراغها.

V. أشكال وآليات التأقلم والتعويض

أمام الخطورة للوضع الطبي الذي بات يهدد الإنسانية وبين مطرقة الكورونا وسندان الحجر أو بين رغبة لجعل الهو في الخروج والانا الأعلى المسيطر في الحجر بالمعنى الفرويد لابد من التصعيد والإعلاء وجعل حدّ للضغوط النفسية والبحث عن صيغ للترويح عن الذات وتصبيرها بأي شكل من الأشكال. فقد أوجدت البشرية بمختلف أنواعها جملة من الصيغ والآليات للحدّ من الضغوطات والتأقلم مع الوضع الوبائي الصعب. فهناك اقتناع من العامة من الشعب بان الوضع وبائي حساس ودقيق وخطير وبالتالي تغليب المصلحة الجماعية على المصلحة الفردية، "ينتقل الفرد من دائرة الحرية إلى مصلحة الجماعة والمجتمع وهو الضمير الجمعي عند دوركايم[1]" فهناك اقتناع الخروج وعدم احترام البرتوكول الصحي وإجراءات الحجر يمكن أن يترتب عنها مزيد تفشي العدوى وبالتالي إمكانية كل فرد أن يتسبب في العدوى وجلب الفيروس إلى الدار حيث إقامة الكبار والصغار ويتسبب في مرض أحدهم وموته وهنا يصبح الفرد موضع إدانة وسبب في هلاك الأخر القريب والبعيد. فالفرد أصبحت لديه قناعة وانه من تجاوزه للحجر يمكن

[1]- أسيا كسور، دور سلطة الضبط الاجتماعي على فعالية التباعد الاجتماعي في ظل جائحة كوفيد19، مرجع سابق، ص،107.

أن يرتكب جريمة في حق الأبرياء. لذا كانت هذه من الفكرة مهدئة وباعثة لنوع من التوازن والصبر في صفوف العديد من الأفراد وبالتالي قبول الوضع إلى درجة أن البعض كان ينادي بمزيد التطبيق والاحترام للتباعد.

كما ان الانضباط والنظام والعقلانية خاصة للعقلاء والمثقفين تعتبر إحدى الآليات والوسائل التي يمكن من خلالها إدارة الأزمات والتفاعل مع الحدث. فالمواطن يمكن أن يتحول إلى فاعل اجتماعي عن بعد في احترامه للمعايير الجديدة حفاظا على سلامته وسلامة الآخرين. فالقناعات وفهم الأزمة والامتثال للقوانين تبعث في بعض الأفراد نوع من الارتياح بأنه في حالة زمنية وبائية تستوجب أشكال تضامنية جديدة ليست في التجمع وإنما في التباعد.

وأخير لا ننسى دور العبادة فالدين عزاء من لا عزاء له حسب فرويد لذا العبادة الفردية تصبح في هذه الحالة أكثر قيمة وأجرا نظرا لعدم تعارضها مع مقاصد الفقه الذي بدوره يحث على مزيد من التباعد باعتبار النص القرآني ينادي بحفظ النفس والحرص على سلامة الأخر وهو ما يشرع إليه فقه المقاصد. وترى الفئة المتدينة انه بعد العسر لا بد أن يأتي اليسر لذا لا تراها سوى صابرة مبتهلة إلى الخالق من اجل رفع الوباء والتحصين بكلمات الله التامة.

1-الوسائل التي التجأ إليها التونسي للتخفيف من الحجر والتأقلم معه

الرسم عدد08: مجالات الحد من مخاطر كورونا في الموجة الثانية

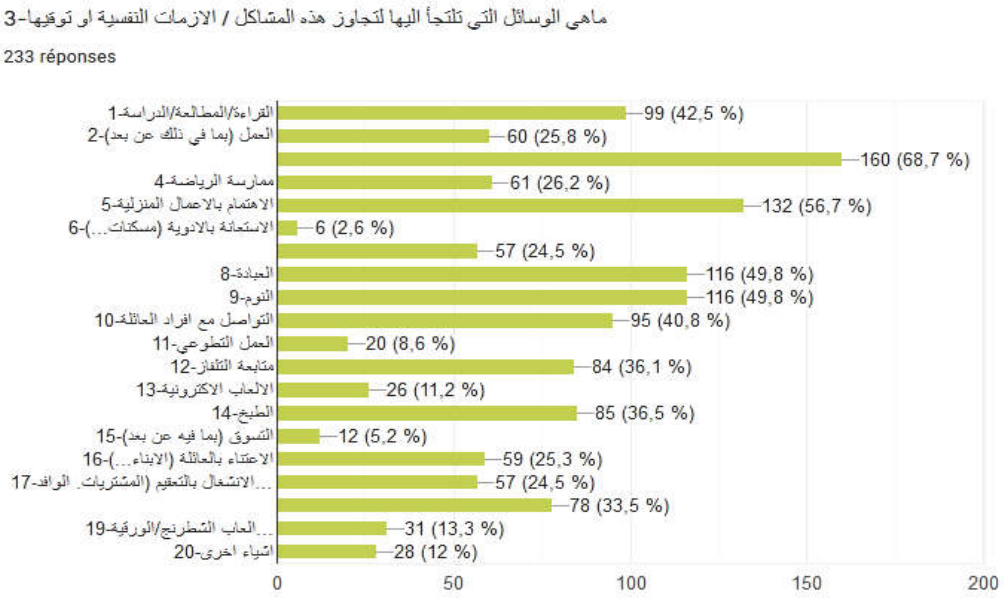

التجأ المواطن التونسي إلى العديد من الأنشطة لقضاء وقته الحر، فالوقت الميت كان قد ملا حيزا كبيرا مقارنة بالوقت الحي. ومن ضمن الوسائل المعتمدة نجد 42.5 % فضلت المطالعة والدراسة كأفضل وسيلة لجعل الوقت الحر وقتا حيا، وقد مثّل فرصة للبعض خاصة الباحثين ورواد الكتاب والمطالعة. فهناك العديد من المصادر والمؤلفات الغزيرة التي لم يجد الباحثين والقراء وقت لدراستها والاطلاع عليها فكانت الفرصة في زمن الحجر لقراءاتها وتدبر معانيها وتقوية زاده المعرفي والمعلوماتي ووسيلة للتسلية في ذات الحين باعتبار أن المطالعة تمثل وسيلة ترفيهية معرفية في آن واحد.

نجد أيضا من فضل الحياة العائلية والتحاور العائلي لأنها مناسبة قليلة الحدوث ما عدى في الأعياد أو المناسبات نظرا للانشغال اليومي بالعمل وقضاء الحاجات وتنوع أوقات الدخول والخروج من المنزل وهذه الفئة تحصي 40.8% من حجم العينة المستجوبة، فالتعامل مع مسألة الترفيه والوقت الحرّ ما زال إلى حدّ ما يخضع لمنطق توزيع الأدوار بين الرّجل والمرأة داخل الفضاء الأسري القائم على ثنائيّة الدّاخل والخارج رغم ما تحقّق من تحوّل في وضع المرأة بفعل عامليْ التعليم والخروج إلى العمل وما تولد عنهما من تقليص للتباين الجنسي في أداء الأدوار، هذا التباين الذي ما زال قائما لصالح الذكور في مستوى ما هو معيش وممارس.

أما الفئة الأخرى فقد رأت في التعاون على الشؤون المنزلية وسيلة لقضاء الوقت وهي نسبة 56.7% من الفئة المستجوبة وهذه الفئة غالبا ما تكون من الإناث باعتبار أن الشغل اليومي بالنسبة لديهم هو شؤون الدار. كما أن الزمن بلا حركة ونشاط إذا طال يصبح مملا لذا يفضل البعض النشاط مهما كان نوعه بدل السكون وقلة الحركة فقد يكون إعانة الزوجة والطبخ كما هو موجود في الرسم أو حتى التعقيم أيضا خاصة وأن مختلف ما يأتي من خارج المنزل أصبح محل ريبة من الفيروسات. لذا يقضي العديد من الأفراد يومهم في تعقيم البيوت والأبواب والخضر والمواد المختلفة حفاظا على الصحة خاصة أن الفيروس سريع الانتشار، وينتشر ويشد في أي مادة دون استثناء. فقد لاحظنا في الرسم نسبة 24.5% لها حيز من الزمن في التعقيم والتنظيف وإعادة التنظيف. لان الوسوسة أصبحت هاجسا وشكل من أشكال الخوف الذي أصاب فئات من المجتمع التونسي.

ومن الأساليب للتفاعل والحدّ من مخاطر الحجر النفسية اعتمدت بعض الفئات الرياضة كأفضل الوسيلة للوقاية من تهديدات الفيروس الخفي، خاصة وان الرياضة تعتبر من أفضل الأنشطة التي تعيد النشاط والتوازن النفسي والعقلي والجسمي. وقد تواتر في حديث الشباب، ميلهم إلى ممارسة الرياضة والتردّد على الفضاءات المفتوحة أثناء الوقت الحرّ ويجد هذا السلوك مبرّراته في كون الأنشطة الرّياضيّة تنسجم مع الخصائص النفسيّة والفيزيولوجية للشاب. أمّا الفضاءات المفتوحة فهي توفّر بديلا عن تلك الأوقات الطّويلة المقضاة داخل الفضاءات المغلقة للعمل أو الدراسة. فالمواطن يبحث في أي شكل من أشكال الترفيه وقضاء الوقت والحد من أي سبب من أسباب التوتر، فالتلفاز أصبحت مصدر أخبار مرعبة ومخيفة ومشاهد تنبئ بالفناء ونهاية العالم. ولعل هذا ما جعل نسبة المشاهدة للتلفاز

لا تتجاوز 36.1% باعتبارها تزيد من القلق والاكتئاب فطوال فترة الحجر والأخبار في تعكر مستمر والوضع الصحي يزداد سوءا وليس هناك بصيص من الآمل في انتهاء الوباء والكف عن الحجر.

أفاق البحث.

- تقييم درجة الوعي الشعبي لمخاطر الفيروس وطرق الوقاية منه
- –المساهمة في الوقاية من الكورونا من خلال توظيف وسائل الاتصال وتطويرها لتوعية الناس

–دعم الإستراتيجية الوطنية لتفادي تفشي فيروس كوفيد 19

- ارضية للمساهمة في صياغة الحملات التوعوية للوقاية من الكورونا
- –وضع آليات لتأطير الاجتماعي والنفسي لضحايا الكورونا وذويهم وللعديد من الفئات الاجتماعية التي تمر بفترة صعبة
- الحث على دعم آليات لمساعدة المجتمع للاجتياز هذه المرحلة الدقيقة (والاستعانة بعلم الاجتماع الإكلينيكي)
- –التأطير النفسي والدعم المعنوي للإطار الصحي (المتواجد في الصفوف الأولى لمجابهة الكورونا)
- المساهمة في دعم الأبحاث المتعددة الاختصاصات (بين الطب والعلوم الاجتماعية والنفسية)
- جاء كورونا ليقول "انتهت اللعبة" عليكم إما أن تغيروا قواعد قومكم ونومكم، طعامكم وشرابكم، ذهابكم وإيابكم، سفركم وبقائكم، ووو سلسلة واوات لأعد لها ولا حصر. فيروس كورونا وبكل بساطة يريد أن يعلمنا قاعدة واحدة وهي كيف ننتصر عليه. كورونا هو الفيروس الوحيد الذي منحنا كل أسلحة الدمار الشامل الكفيلة بالقضاء عليه[1].
- تركز الفيلسوف الأمريكية "جوديث بتلر" على ضرورة إعادة التفكير في النظام القائم كله، وذلك عبر توفير مساحة للتفكير في قيمة الحياة خارج التحديات التي يفرضها علينا النظام الرأسمالي، من خلال تحديد قيمة مادية لحياة الإنسان.[2]

[1]- http://baytalhikma.iq/News_Details.php?ID=1195.

[2]– عمر المغربي، مرجع سابق، ص،169.

الخاتمة

يقول خسرو أيضا" لقد برهن كورونا بان الجميع متساوون أمام قانونه ولا تمايز لأحد على احد حيث يكون الحبر الأعظم كأبسط رعاياه. فالملك يصرع على الأرض نفسها التي عاش عليها المتسول ردحا من الزمن[1]. خلفت جائحة كورونا عديد الأضرار النفسية والاجتماعية على مختلف فئات الشعب التونسي كغيره من شعوب العالم. وقد ازداد الخوف من الوباء ومن سرعة انتشاره هو الحجر الصحي الذي لا عهد للبشرية به على مدة قرون ولعل هذا الوباء كان شرسا وخطير ليس كسابقه من الأوبئة. فليس من السهل ان تجد بشرية العالم موصده الأبواب من خطر بات يهددها في عقر دارها ولا تدرك من أي باب يدخل العدو الخفي الذي حير العلماء وزعزع ثوابت الإنسان الذي ظن انه سيدا على الطبيعة او مالكا لها.

أثبتت نتائج البحث أيضا أن الفرد لا يستطيع العيش دون نشاط ودون لقاءات يومية ودون تواصل وتفاعل مع المجتمع وهي نظريات علم النفس وعلم الاجتماع وعلم النفس الاجتماعي التي تعتبر أن الإنسان يجمع بين المعطى البيولوجي الجسدي والمعطى النفسي وهما عاملان يشتغلان معا ولا يمكن لأي عنصر منهما أن يستقل عن الأخر.

كما أن الفضاء العام هو الفضاء الأكثر ارتياحا بالنسبة لغالبية الفاعلين الاجتماعيين لأنه فضاء التعارف والصداقة والتالف والتنافس وتقييم الذات والمراجعة والمصالحة والتبادل والترويح عن النفس والأكثر ارتياحا مقارنة بالمنزل الذي يمثل الحصر والحد من الحرية وكثرة المسؤولية

وأخيرا بين عالم الاجتماع الفرنسي ألان تورين، خلص إلى "أن العالم لم يعد كما كان، حيث إنه يشعر اليوم بالخوف " مضيف في حوار صحفي تداولت عديد المواقع وصفحات التواصل الاجتماعي "في الحقيقة، هناك غياب الفاعلين، وغياب المعنى، وغياب الأفكار، بل حتى الاهتمام؛ ما يبدو واضحا الآن هو تفضيل الفيروس (كورونا) استهداف كبار السن. كما ليس لدينا إلى حدود الساعة علاج ولا لقاح. ليس لدينا أي سلاح، أيادينا فارغة، نحن محبوسون ومنعزلون.. مهجورون. يجب علينا ألا نتصل ببعضنا البعض، وفوق هذا وذاك يجب أن نلزم البيت. هذه ليست حربا."!

[1]- علي اسعد وطفة، مرجع سابق، ص،6.

المراجع

- أسيا كسور، دور سلطة الضبط الاجتماعي على فعالية التباعد الاجتماعي في ظل جائحة كوفيد19، مجلة التنمية وإدارة الموارد البشرية، بحوث ودراسات، المجلد8، العدد01 العدد 2020.
- محمود، حيدر، الجائحة تسترجع الميتافيزيقا،مجلة الاستغراب، العدد 20، صيف،2020 المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية،
- على اسعد وطفة، الهوية الإنسانية في زمن كورونا، نوفمبر، 2020.
- عماد عبد اللطيف، الخطاب حول كورونا كيف نتحدث مع الناس بشأن المرض؟ الشروق، السبت 11-04-2020.
- عقيل سعيد محفوض ،حادث كورونا وما بعده العالم على نشأة أخرى ،مجلة الاستغراب، العدد 20، صيف،2020 المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية.
- جون إهرنبرغ، المجتمع المدني، التاريخ النقدي للفكرة ، ترجمة، علي حاكم صالح وحسن ناظم، ط 1، المنظمة العربية للترجمة، 2008.
- عمر المغربي: تقرير ماذا قال الفلاسفة حول جائحة فيروس كورونا؟ مجلة تبيين العدد، 35، المجلد،9، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات شتاء 2021.
- خيرة بن حليمة، استراتيجيات الوقاية من العدوى فيروس كوفيد 19 لتعزيز الخدمة الصحية في المؤسسة الصحية الجزائرية، مجلة الاقتصاد والبيئة، المجلد 04،العدد 02 أكتوبر 2021.
- عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، تحقيق عبد الله محمد الدرويش،دار يعرب، ط1،دمشق،2004.

[1]- http://baytalhikma.iq/News_Details.php?ID=1195.